

صاحب الجلالة يتحدث في مقابلة صحفية

عن عدد من القضايا الاسلامية

جدة ـــ تحدث جلالة الملك عن بعض الجوانب المرتبطة بحياة المسلمين وأوضاعهم، وذلك ضمن مقابلة تشكل جزءاً هاماً من فيلم عالمي عنوانه ـــ الأمة الاسلامية بين الماضي والمستقبل ـــ ينتجه ويخرجه السيد عبد الله المحيسن بتعاون مع وزارة خارجية المملكة العربية السعودية.

ويناقش هذا الشريط قضايا العالم الاسلامي والدور الكبير الذي يمكن للشعوب الاسلامية أن تقوم به ضمن تعاونها وتضامنها.

وقد انطلقت فكرة إنتاج هذا الفيلم من مؤتمر القمة الاسلامي الثالث المنعقد بمدينة الطائف.

ومن المنتظر أن يجري منتج الفيلم عدة مقابلات مع عدد من رؤساء الدول، وأبى إلا أن يبدأها بمقابلة جلالة الملك الحسن الثاني.

وكان محور السؤال الذي طرحه المنتج هو تصور جلالة الملك للأسباب التي أدت إلى التمزق والتفرقة بين الشعوب الاسلامية.

وفيما يلي آراء صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في هذا الموضوع كما جاءت في جواب جلالته :

أظن أن الأسباب متعددة، ومنها ما هو دائم ومنها ما هو ظرفي، وأظن شخصياً أن الأسباب الدائمة والخطيرة جداً التي أدت إلى هذه التفرقة هي رغبة المسلمين في التقليد، ذلك أنهم أرادوا أن يقلدوا الغرب في عدة مظاهر من حياته، وبالأخص مظاهر حياته السياسية والعامة وحتى الاقتصادية، ونسوا شيئاً واحداً وهو أن الغرب قرر منذ قرن أو يزيد أن يفرق بين الدين والدولة ومن ثم أصبح متحرراً تماما من الدين وقواعد الدين وإطاره، الدول الاسلامية أرادت أن تقلد الغرب وأن تعيش مثل الغرب، والحالة أنها تعيش في متناقضات ذلك أن القرآن الكريم والدين والسنة يلازموننا دائما في حياتنا اليومية، فعوضًا عن أن نأخذ من الغرب وسائل استثماره وخططه في غناه وسياسته في الترفيه عن شعوبه سياسياً واقتصادياً وصناعيا وفلاحيا أخذنا القشور وسرنا نلعب بالايديولوجيات التي ليس بيننا وبينها أية صلة، ولم نبق تلك الأمة الوسط لا إفراط ولا تفريط، فاما اخترنا تماماً الليبرالية الرأسمالية واما انهمكنا تماماً في الماركسية المادية.

وهكذا أصبح تشتت العرب اليوم شيئا خطيراً، وليس معنى هذا أن العرب لم يكونوا في الماضي متفرقين، فبالطبع ابتداء من الانطلاقة الأولى التي انطلق فيها المسلمون لنشر كلمة الله لم يبق العرب في مناخهم ولا في لغتهم ولا في حضارتهم ولا حتى في عاداتهم من أكل وشرب ونوم، ومعاملة اقتصادية وتجارية، فكان إذن من المنتظر أن تؤدي الدعوة الاسلامية التي انتشرت بكيفية هائلة وبسرعة ضربت الرقم القياسي في التاريخ إلى حد أن عالماً أمريكيا وضع في السنة الماضية حينما وضع لائحة للرجال النوادر في العالم وفي تاريخ البشرية ـــ وضع النبي صلى الله عليه وسلم في المرتبة الأولى، ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح شخصياً وبعده روحه وسنته يسيطر على جزء كبير من العالم، وحينما نريد أن نستقصي الوسائل التي كانت بين يديه وحينما نريد

أن نحصي الخسائر المادية في العتاد والرجال من المسلمين أو من غير المسلمين نجد أنه بالنسبة للمساحة التي اكتسحت لم تكن الخسائر المادية فادحة، وذلك لأن الدعوة الاسلامية ان كان يشق لها الطريق السيف والجهاد فسرعان ما تنفتح لها الأبواب والقلوب ويصبح ذلك الجهاد وذلك الغزو حقيقة اقتناعا وتلهفاً، بل يمكننا أن نذكر أن البشرية كانت في حاجة إلى دعوة إسلامية لا تفرق بين الدين والدنيا ولا تفرق بين المذهب والمسكن والمعبد والمعكف، بل كانت في حاجة إلى إطار حياة عامة ينظم لها شؤونها وسياستها وتعاملها أفرادا وجماعات.

فبالطبع حينما دخل العرب إلى فارس واكتسحوا الصحراء ثم وصلوا إلى تخوم روسيا مثلا، إذ ذاك وجدوا حتى عندنا في المغرب الأقصى أو افريقيا الشمالية، وجدوا طبائع مختلفة ووجدوا ديانات مختلفة ووجدوا عدة مسائل في هذا الشأن إلى حد أن العرب كانوا يفرقون بين افريقيا وافريقية (بالتاء)، ومعروف افريقية بالتاء هي ما نسميه الآن بافريقيا الشمالية.

فحينما وصل العرب لافريقيا وجدوا أمامهم معارضة بل مقاومة شديدة، ذلك لأن سكان افريقيا في تونس والجزائر والمغرب كان قد احتلهم قبل ذلك الرومان وشعروا بأن أطماع الرومانيين لا تتعدى أطماعاً مادية، فقد كانوا يغزون تلك الناحية لخيراتها ولزيتها ولقمحها بالخصوص ليستعينوا به على تغذية روما والأمبراطورية الرومانية.

فحينما جاء الاسلام حسب أولئك السكان أن الاسلام هو أيضاً جاء طامعاً في خيراتهم، فإذ ذاك تجند الجميع تحت راية الكاهنة، وهي سيدة بربرية تسلطت على القيادة العسكرية وقررت أن تطبق على أرض المغرب العربي سياسة الأرض المحروقة، تلك الأرض التي كان المؤرخون يصفونها كجنة شاسعة الأطراف خضراء يانعة، أحرقت الكاهنة كل الغابات وكل الأشجار اعتقاداً منها أو ظناً منها أن العرب جاءوا ليأكلوا لا ليطعموا روحياً سكان المغرب العربي.

وهكذا نرى أنه بمجرد ما اقتنع سكان المغرب العربي الكبير، بأن الاسلام لا يريد أخذ شيء منهم بل مطمحه الوحيد هو أن يعطيهم شيئاً وشيئاً روحانياً وروحياً وسلوكاً جديداً وفضيلة جديدة ليست مبنية على قانون الغاب ولكن مبنية على قيم روحية ودينية لها الاستمرارية ولها كذلك العالمية، إذ ذاك تقبلوا الاسلام وأصبحوا من المحافظين عليه إلى حد أنهم اجتازوا البوغاز إلى اسبانيا ووصلوا إلى جنوب فرنسا.

وبعد ذلك مرة في تاريخهم في وادي المخازن، تصدوا للغزو الصليبي الذي كان يستهدف مدينة القدس من طرف البرتغاليين والاسبانيين، وقبل أن نعرج على موضوع القدس بما أننا ذكرناه، هناك بعض الأمثلة تشخص لنا أو تجسم مدى الحضارة التي كانت موجودة إذ ذاك والفوارق الحضارية الموجودة بين العالم الاسلامي والعالم غير الاسلامي.

ونرى في التاريخ أن هارون الرشيد مثلا لما أراد أن يتصل أو أن يربط الصلة مع الأمبراطور كارلوس مارتنيز أو شارلمان أو كارلوس الأكبر الذي توج أمبراطوراً في روما سنة 800 ميلادية أي في القرن الثاني من الهجرة كان من جملة الهدايا التي أرسلها إليه ساعة مائية.

واذا نحن رجعنا إلى تاريخ أوربا، نجد أن ذلك الأمبراطور وأوربا كلها كانت تعيش يومئذ في دور من الخشب مرفوعة فوق الماء حتى لا تكون معرضة لأخطار الغزاة أو الحيوانات، فإذن قلنا المغرب دائماً كان المرآة أو حاول أن يكون المرآة الحقيقية للاسلام ووحدة كلمة المسلمين، ومن ثم منذ أن وجد المغرب كمملكة

إسلامية من عهد المولى ادريس الأول رضي الله عنه إلى يومنا هذا، قرر الملوك المغاربة من البداية حفاظاً على وحدة الصف وعلى وحدة الاسلام ألا يستعملوا إلا مذهباً واحداً، فالمغرب هو الوحيد في تلك الناحية الذي لا يتقاضى ولا يتحاكم ولا يتعامل إلا بالمذهب المالكي محافظة وحفاظاً على وحدة الصف الاسلامي، تلك المحافظة التي أدت به إلى أن يقف في وجه الطغيان ووجه حرب صليبية من نوع جديد كانت تستهدف القدس، لأن الحروب الصليبية كما تعلمون كانت دائماً تسير من الغرب إلى الشرق في الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط وعند البرتغال والإسبان كانت خطة ثانية، أنهم يأتون لبيت المقدس من جنوب البحر الأبيض المتوسط فكان لزاماً عليهم أن يخترقوا المغرب، ووقف المغرب في وجههم حتى لا تتعرض مدينة القدس إلى الاحتلال، تلك المدينة التي كانت في الأيام الأخيرة القريبة من المواضيع المهمة جداً في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد بالطائف وافتتحت جلساته بطوافنا وصلاتنا حول بيت الله الحرام بمكة المشرفة.

نعم مشكلة القدس تكتسي جوانب متعددة لا يمكن لأحد ولو لرئيس لجنتها أن يتكهن بما سيكون في المستقبل، ذلك أن مدينة القدس لها جوانب عديدة الجوانب الدينية، ليست مدينة مسلمة فقط فهي مدينة مسلمة ومسيحية ويهودية، إذن جميع أبناء ابراهيم خليل الله عليه السلام وجميع مشاكل أبنائه الدينية هي مجموعة وموضوعة في حجمها الفكري وحتى الهندسي في تخطيط المدينة، موجودة في مدينة القدس، المشاكل السياسية كلها موجودة في مدينة القدس من احتلال الأراضي بالقوة، من احتلال أراض عربية من طرف الصهيونيين من رجوع الحقوق إلى ذويها إذا نحن دخلنا في مسلسل للمفاوضات أو لحل المشكل بالمفاوضات، بحيث لا يمكن لأي أحد ولو لرئيسها هذا أن يتكهن بما سيصبح عليه الأمر في مدينة القدس.

لكن الشيء الذي يمكن أن أقوله هو أن المؤتمر الاسلامي الثالث وضع إطاراً للعمل سواء للجنة القدس أو للمشاكل الأخرى التي تدارسناها جميعا، وإذا نحن كنا مخلصين ومسايرين للنقط التي حددناها والبرامج التي خططناها والأهداف التي رسمناها، فلي اليقين أن المؤتمر الثالث للدول الاسلامية سيكون منعطفاً تاريخياً بالنسبة للمسلمين وبالنسبة لاستعادة حرمتهم.

ففي الحقيقة ليس المسلمون ضعافاً، وليسوا فقراء مادياً ولا فكرياً، ولكن المسلمين أصبحوا مجهولين، ولهذا أعتبر أن لجنة الاعلام والشؤون الثقافية التي قرر المؤتمر أن يكونها ويجعل على رأسها رئيس دولة هي في اعتقادي أخطر وأهم وسيلة للعمل يمكن أن نستخدمها لاسترجاع حقوقنا، ولكن استرجاع الحقوق يمر من طريق صعب، فهو استرجاع الحرمة في التعريف بفضائلنا، مثلا : إذا نحن عرفنا العالم أن هناك كتاباً في القرويين من القرن الثاني الهجري عنوانه «أدب معاملة أسرى الحرب» نرى أن جنيف وقوانين جنيف واتفاقية جنيف الدولية التي كانت في أوائل هذا القرن ربما أفادها الاسلام ومفكرو الاسلام منذ ما يزيد على 1000 سنة، وهذا إن دل على شيء يدل على أن الاسلام قاعدة، والاسلام إطار والاسلام دين، والاسلام طريقة للحياة، بحيث أرجع إلى ما ابتدأت به، لماذا نضيع الوقت في البحث عن إيديولوجيات وعن إطار للعمل وللحياة ؟ والحالة أن في ديننا ما يجعلنا أغنياء جداً.

وهنا أريد قبل أن أختتم كلامي هذا أن أصحح بعض الأغلاط ربما تقع في أذهان الناس وبالأخص في أذهان الشباب، صرنا نوعز للشباب أن جميع الاكتشافات العلمية والتكنولوجية هي في القرآن، أقول لا ليست منصوصاً عليها في القرآن لا، لا معنى ولا كتابة، ولكن لا نجد في القرآن ولا في السنة ما يمنعنا من السير في طريق غزو الفضاء وغزو غير المكشوف والمعلوم وغزو التكنولوجيا والعلوم غير الدينية.



فلهذا، علينا أن نقتبس من الغرب، من الدول الاشتراكية طريقتهم للكسب، تخطيطهم، وسائلهم الفلاحية والصناعية للتغذية وللرفع من مستوى الرجل المسلم وأن نقف، أما إذا نحن زدنا وأردنا أن نصف أنفسنا بيمينيين ويساريين فلا يمكن ذلك «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» نحن أمة الوسط لا إفراط ولا تفريط، اليميني في جهة واليساري في جهة، ونحن علينا أن نبقى دائماً أمة الوسط حتى نكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

السبت 24 ربيع الأول 1401 — 31 يناير 1981